

# الإستخلاف كمدخل لمنهج الفكر الإقتصادي وملكية وسائل الإنتاج في الإسلام

- الإستخلاف والملكية :
- الملك :
- الخالق والخلق .
- مصادر الثروة التي خلقها الله .
- التسخير .
- الملك . . نسب الله الملك الى نفسه  
والى من خلق .
- الإستخلاف :
- استخلف الله الانسان .
- خلق الأشياء المادية بأسبق  
من خلق الانسان .
- الهدف من الإستخلاف .
- الإستخلاف كمدخل للنظرية الاقتصادية  
في الإسلام .



## الاستخلاف والملكية : الملك

كلمة مثلثة الميم تقرأ بالضم والفتح والكسر ولكن متى تقرأ هكذا ؟

### أولا : الخالق والخلق

● لقد نسب الله الخلق الى نفسه وأنكره على غيره :

١ — نسيبه الى نفسه فقال تعالى :

« ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » •

( الأعراف : ٥٤ )

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » • ( الرعد : ١٦ )

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه » •

( الأنعام : ١٠٢ )

« الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل » ( الزمر : ٦٢ )

« ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو » ( غافر : ٦٢ )

« هو الله الخالق الباري المصور » • ( الحشر : ٢٤ )

٢ — أنكره على غيره فقال تعالى :

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » • ( الطور : ٣٥ )

« أفأرأيتم ما تمنون • أفأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » •

( الواقعة : ٥٨ ، ٥٩ )

« هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » •

( نجمان : ١١ )

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » •

( الرعد : ١٦ )

- « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ، انا خلقناهم من طين  
لازب » • ( الصافات : ١١ )  
« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها » • ( النازعات : ٢٧ )  
« هل من خالق غير الله » • ( فاطر : ٣ )  
« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » •  
( الحج : ٧٣ )  
« والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » •  
( النحل : ٢٠ )  
« واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » •  
( الفرقان : ٣ )

\* \* \*

### ثانيا : مصادر الثروة التي خلقها الله

قال الله تعالى :

- « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » • ( البقرة : ٢٩ )  
« وهو الذى خالق السموات والأرض بالحق » • ( الأنعام : ٧٣ )  
« ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض  
آيات لقوم يتقون » ( يونس : ٦ )  
« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » •  
( الحجر : ٨٥ )  
« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين » •  
( الأنبياء : ١٦ )  
« لنحىى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » •  
( الفرقان : ٤٩ )  
« وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » • ( يس : ٤٢ )  
« أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون » •  
( يس : ٧١ )

- « والأنعام خلقها ، لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون » •  
( النحل : ٥ )  
• « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » •  
( النحل : ٨ )  
• « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » •

- ( العنكبوت : ٢٠ )  
• « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فىهما من دابة » •  
( الشورى : ٢٩ )

فآليات الكريزمات تدلنا على أن الله سبحانه خلق السموات والأرض ، وما بينهما وما فيهن ، وما بث فىهما من دابة ، وخلق الأنعام وأفردها بالذكر هى والدواب ، وجعل منها المنافع ، كالدفاء والمأكىل والركوب ، أى ما يمكن تسميته بالثروة الحيوانية ووسائل الانتقال ، أقوله تعالى : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وكل ذلك من مصادر الثروة المهيئة والمعدة لاستخدام الانسان ومنفعته ، اما على الاباحة الأصلية أو بطريق الحيازة والاختصاص •

\*\*\*

### ثالثا : التسخير

- لقد سخر الله للانسان أشياء كثيرة مما خلق فقال تعالى :
- « هو الذى خاق لكم ما فى الأرض جميعا » • ( البقرة : ٢٩ )  
• « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » •  
( لقمان : ٢٠ )  
• « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين » • ( ابراهيم : ٣٣ )  
• « وسخر لكم الليل والنهار » • ( ابراهيم : ٣٣ )  
• « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » • ( النحل : ١٢ )  
• « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا » •  
( النحل : ١٤ )  
• « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » •  
( الجاثية : ١٢ )

- « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فانذكروا اسم الله عليها صواف » . . . « كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » .
- ( الحج : ٣٦ )
- « والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » .
- ( البقرة : ١٦٤ )
- « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ( الأعراف : ٥٤ )
- « ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله » .
- ( النحل : ٧٩ )
- « وسخر لكم الأنهار » .
- ( ابراهيم : ٣٢ )
- « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » .
- ( الجاثية : ١٣ )
- « وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير » . ( الأنبياء : ٧٩ )
- « فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب » .
- ( سورة ص : ٣٦ )

فالآيات الكريمة تدلنا على أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض وسخر للانسان ما فى الأرض جميعا ، وما فى السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم والليل ، والنهار ، والبحر ، والأنهار ، والطير :

( أ ) كل ذلك يدل على أنه يجب على الانسان بعد ذلك أن يعمل ويكد ويكدح بعد أن هيا الله له كل هذه المصادر والوسائل ، وهنا تبرز بوضوح شديدة الأهمية الكبرى للعمل كأساس للانتاج ، ومن ثم تحديد قيمة المنتج والسعر أيضا ، فلا بد من الأعمال الانسانية فى كل مكسوب .

( ب ) ثم ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال بنماذج من العمل والضرب والسعى ، فقال تعالى : « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا » .

- وقال : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » .
- وقال : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير » .

ولعل في تخصيص هذه الأمثال بالذكر من حكمة بالغة ، فالآيات الأولى تدل على العمل المباشر فيما سخره الله للإنسان من بحار وأنهار وما فى الأرض ، والآيات الثانية فى ( ب ) تدل على العمل فيما هو معد فعلا « لئلا تباع » لما فيها اعداد سابق لفقوله تعالى : « لتأكلوا منه لحدماً طريا » •

وضرب الرسول الكريم ﷺ نموذجا عمليا حينما جاءه من يسأله الصدقة فنظر إليه فوجده جنداً فسأله ﷺ ماذا عندك ؟ •• فقال : عندنا قدر نشرب منه وحلوس نجلس عليه • فقال له ﷺ : اذهب وانقنى بهما ، ففعل الرجل فقال الرسول ﷺ : من يشتري هذه ؟ •• فقال أحد الجالسين : أنا يا رسول الله بدرهمين • فقال ﷺ : من يزد ؟ •• فقال رجل آخر : أنا يا رسول الله بأربعة دراهم ، فأخذها الرسول ﷺ وأعطى الرجل درهمين : لنفقة أهله وقال له : اذهب واشتر بالدرهمين الآخرين قدوما واحتطب وبيع ، ولا تأتيني الا بعد خمسة عشر يوما ، ففعل الرجل وعاد الى الرسول ﷺ ومعه خمسة عشر درهما •

ففى هذه القصة التى تمثل موقفا من صاحب الشرع الشريف تحققت فيها عملية انتاجية شرعية كاملة توفرت فيها كل عوامل الانتاج وأدواته من ( عمل — مال — منظم ) •

\*\*\*

### رابعا : الملك

● نسب الله الملك الى نفسه والى من خلق :

١ — نسب الله الملك الى نفسه فقال تعالى :

« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » •

( البقرة : ١٠٧ ، المائدة : ٤٠ )

( آل عمران : ٢٦ )

« قل اللهم مالك الملك » •

« والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء قدير » •

( آل عمران : ١٨٩ )

- « والله ملك السموات والأرض وما بينهما » • ( المائدة : ١٨ )  
« لله ملك السموات والأرض وما فيهن » • ( المائدة : ١٢٠ )  
« الرحمن على العرش استوى • له ما فى السموات وما فى الأرض  
وما بينهما وما تحت الثرى » • ( طه : ٥ ، ٦ )

٢ — نسب الله الملك الى من خلق فقال تعالى :

- « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » •  
( آل عمران : ٢٦ )  
« قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومك لا يبلى » •  
( طه : ١٢٠ )  
« أم لهم نصيب من الملك فأذن لا يؤتون الناس نفيرا » •  
( النساء : ٥٣ )  
« فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » •  
( النساء : ٥٤ )  
« والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم » ( البقرة : ٢٤٧ )  
« أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لهم مالكون » •  
( يس : ٧١ )

ومن الآيات السابقة نستدل على أن الملك — بالضم — ينسب الى الله سبحانه وقد نسبه أيضا الى الانسان ، كما أن الانسان حين يكتسب هذا الملك ، أو يحوز شيئا مما خلقه الله وسخره له تصبح يده عليه يد ملك وقبل ذلك فهو فى ملك الله سبحانه وتعالى ، فلا بد للانسان من اتيان سبب من أسباب الملك كى تتحول يده الى يد مالك ويدخل حيازته الملك •

\* \* \*

#### خامسا : الاستخلاف

- ١ — لقد استخلف الله الانسان على ما خلقه وسخره له فقال تعالى :  
« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى  
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » • ( النور : ٥٥ )

- « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم » • ( الأنعام : ١٦٥ )
- « ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » • ( يونس : ١٤ )
- « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ، فمن كفر فعليه كفره » • ( فاطر : ٣٩ )
- « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » • ( الحديد : ٧ )
- « وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومي وأصلح » • ( الأعراف : ١٤٢ )
- « الذى أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين » • ( السجدة : ٧ )
- « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » • ( النور : ٣٣ )
- « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت » • ( المنافقون : ١٠ )

\* \* \*

٢ — لقد كان خلق الأشياء المسادية أسبق من خلق الانسان ، يدل على ذلك قول الله تعالى :

- « وإذ قال ربك للملائكة انى جعل فى الأرض خليفة » • ( البقرة : ٣٠ )
- « يا داوود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » • ( سورة ص : ٢٦ )
- « هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا » • ( الأنعام : ٢ )
- « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » • ( المؤمنون : ١٢ )
- « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » • ( الأنعام : ١٦٥ )
- « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض » • ( النمل : ٦٢ )
- « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » • ( الاعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ )

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » • ( غافر : ٥٧ )

وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه يكون الاستخلاف واردا على تلك الأشياء التي سخرها الله للإنسان ووجب عليه أن يباشر فيها حق الملك بكل ما يؤدي اليه من استعمال واستغلال وتصرف حتى لا يتعطل المال عن أن يؤدي دوره في اقامة حياة الناس وحتى لا ينتعاس الناس عن تحصيل منافعهم وتحقيق مصالحهم في الحياة فالمال عصب الحياة •

\*\*\*

### ٣ - الهدف من الاستخلاف :

أناط الله بالانسان عمارة الأرض فقال تعالى :

« الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » •

( الملك : ٢ )

« هو أشاكم من الأرض واستعمركم فيها » • ( هود : ٦١ )

لقد ثبت لنا مما تقدم من آيات قرآنية ما يمكن استخلاصه منها وهو أن :

- الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء •
- سخر الله للإنسان مما خلق أشياء ذكرناها •
- ضرب الله للناس الأمثال في العمل والانتاج فيما ذكرنا •
- حدد المقصود والمراد والهدف من كل ذلك وهو ليلونا أينما أحسن عملا في عمارة الأرض •
- وفي كل ذلك تحديد لماهية الاستخلاف ووسائله ونطاقه •

### ( أ ) مضمون الاستخلاف :

نتدرج بالمعاني مع الآيات القرآنية التي سبق ذكرها ، فنقول وبالله التوفيق : ان معنى تسخير الله سبحانه لأشياء مما خلق للإنسان لتكون محلا للملك ، أو ملكيته ، تقوير « لحق » ، حق الانسان في أن يملك أو يملك شيئا مما خلقه الله ، وسخره له ، وجعله صالحا لتملك الانسان •

وهذا يقتضى القاء الضوء على معنى الحق •••

فالحق فى اللغة هو الأمر الثابت الموجود ، ومن هذا المعنى للحق تعددت تعريفات الفقهاء للحق باختلاف نظرهم اليه • والحق عند الأصوليين : هو متعلق خطاب الشارع ، وليس نفس خطاب الشارع ، أى أثر خطاب الله ، وإذا كان الله سبحانه قد سخر من الأشياء التى خلقها أشياء للإنسان ، فان ثبوت حق الانسان فى تملك شىء مما سخره الله ، انما كان هو متعلق أو أثر ذلك الخطاب من الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا النحو يكون المعنى الجامع للحق هو :

ما ثبت باقرار الشارع ووفقا لقواعده وأحكامه ، فالحق ما استحقه الانسان على وجه يقره الشرع ، ويحميه ، ويمكنه منه •

وإذا ما تقرر الحق للإنسان كأثر لخطاب الله بالتسخير ، فان علاقة الانسان بالشىء المسخر له أو المقرر له عليه حق ، يثبت وتقوم اذا ما استعمل الانسان وسائل الحصول على هذا الحق ، أو أتى الأسباب المكسبة لهذا الحق ، وهنا يتحول الحق من حالة تقرير الى حالة حركة تثبت بمقتضاها علاقة شرعية تخول صاحبها سلطة أو تكليفا شرعيا •

فالله سبحانه وتعالى وقد أضاف الملك الى نفسه والى الانسان ، وأنعم على الناس بتقرير الحق الشرعى لهم فى الاستئثار والانتفاع والاستثمار وشرع لهم بمقتضى ذلك الحق ، السلطة والقدرة والمكنة التى تيسر للناس كل ذلك ، كان ذلك منه استخلافا لهم على هذه الأشياء لتقوم بهم ولهم عمارة الأرض • ومن هنا كان الملك خلافة أو استخلافا ، وكان للإنسان بتقرير هذا الحق واستعماله نوع ملك على سبيل الحقيقة الظاهرة ، يتلقى فيه تنفيذ الأحكام الشرعية ، من أوامر ونواهي ، مثل قوله تعالى :

« وَأَنْتُمْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » • ( الحديد : ٧ )

وقوله تعالى : « وَأَنْتُمْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » •

( النور : ٣٣ )

وقوله تعالى : « وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ

لَكُمْ قِيَامًا » • ( النساء : ٥ )

- وقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »  
( البقرة : ١٨٨ )  
وقوله تعالى : «والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم»  
( المعارج : ٢٤ ، ٢٥ )  
وقوله تعالى : « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم  
أموالكم • ان يسألكموها فيحلفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم »  
( محمد : ٣٦ ، ٣٧ )  
ويقول الرسول الكريم ﷺ : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم  
حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم ليسألكم  
عن أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم »  
• أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم »  
ومن هذا يتبين أن الاستخلاف ليس الا اعتبارا شرعيا ، يوجد حيث  
تنفى الشريعة بوجوده ، وينتفى حيث تنفيه الشريعة ، أى فى نطاق  
أحكامه وأوامره ونواهيه •

### (ب) وسائله :

- ويمكننا أن نخلص مما سبق الى نتيجة هامة هى :
- ١ - ان عناصر وعوامل الانتاج فى ضوء ما سبق ثلاثة :
- ( ١ ) العمل : باعتباره حلقة الاتصال بين الملك وما خلقه الله وسخره  
للانسان •
- ( ٢ ) المال المحاز أو المحرز : باعتبار أنه ليس كل الأشياء المسخرة  
صالحة لحيازة الانسان •
- ( ٣ ) التقوى : باعتبار أنها تتسع لتشمل العنصرين الآخرين وفق  
منهج الاستخلاف •
- وعنصر التقوى عنصر معنوى بطبيعته ، يقاس بنتائجه المادية كما  
أن هناك أسباب مادية تؤدى الى نتائج معنوية وأخرى كالعاربة  
والصدقات ، كل ذلك مع الأخذ فى الاعتبار الايمان بالغيب وأن الحياة  
الآخرة فى المنهج الاسلامى خير من الأولى وأنها الحياة الباقية وأن  
التربية الوجدانية الداخلية من أهم ما يعنى به الاسلام لهذا ولغيره •

## التقوى من عوامل الانتاج :

فلقد وضع الربط بين التقوى كأساس عقدي وبين الانتاج كمظهر مادي فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

« وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم »  
( البقرة : ٢٢ )

« وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها »  
( البقرة : ١٦٤ )

« كلما نخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »  
( آل عمران : ٣٧ )

« ان الله فالق الحب والنوى »

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ »  
( الأنعام : ٩٩ )

« والبلد الطيب يخرج نباته بانن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا »  
( الأعراف : ٥٨ )

« ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »  
( الأعراف : ٩٦ )

« ان الذين يتنون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأتقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور »  
( فاطر : ٢٩ )

« واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلنا الجنتين أنت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالها نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها متقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطنة ثم سواك رجلا . لکنا هو الله ربي ولا أشرك بربى أحدا . ولولا اذ دخات جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ، ان ترن

انا أقل منك مالا وولدا • فعسى ربي أن يؤتني خيرا من جنتك ويرسل  
عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً • أو يصبح ماؤها غورا فلان  
تستطيع له طلبا • وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي  
خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا •

( الكهف : ٣٢ — ٤٢ )

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » • ( طه : ١٢٤ )

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت

من كل زوج بهيج » • ( الحج : ٥ )

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد

موتها ليقولن الله » • ( العنكبوت : ٦٣ )

« يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم » •

( الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ )

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل

مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا

يؤمنون » ( النحل : ١١٢ )

« أفرأيتم ما تحرثون • أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » •

( الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ )

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها » • ( سبأ : ٢ )

« أفرأيتم الماء الذي تشربون • أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

المتزلون » • ( الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ )

« لايلاف قريش • ايلانهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب

هذا البيت • الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (سورة قريش)

\*\*\*

٢ — الحياة فى المنهج الاسلامى حياتان : الحياة الدنيا

والحياة الآخرة ، والآخرة خير ، وأفضل ، وأبقى ، من الأولى بل هى

الرجاء والمرجوة ولقد وصف الله الآخرة بقوله تعالى :

« والآخرة خير وأبقى » • ( الأعلى : ١٧ )

« وللآخرة خير لك من الأولى » • ( الضحى : ٤ )

« وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » • (الاسراء : ٢١)  
« والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » •

(الأعراف : ١٦٩)

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين » •  
(العنكبوت : ٣٦)

أما الحياة الأولى ( الدنيا ) فلقد وصفها الله بأوصاف يفهم منها  
أن كل ما اشتملت عليه مذموم فقال تعالى :

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ، وللدار الآخرة خير للذين  
يتقون » • (الأنعام : ٣٢)

« والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » •

(الأعراف : ١٦٩)

« تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » • (الأنفال : ٦٧)

« أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » • (التوبة : ٣٨)

« وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع » •

(الرعد : ٢٦)

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » • (ابراهيم : ٣)

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين » •

(العنكبوت : ٣٦)

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهي

الحيوان ، لو كانوا يعلمون » • (العنكبوت : ٦٤)

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » •

(الحديد : ٢٠)

« وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » • (آل عمران : ١٨٥)

وبين سبحانه وتعالى زينة الحياة الدنيا ومتاعها فقال تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة

من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة

الدنيا ، والله عنده حسن المآب » • (آل عمران : ١٤)

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » • ( الكهف : ٤٦ )

كما بين سبحانه وتعالى أنها زائلة فقال تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » • ( يونس : ٢٤ )

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » • ( الكهف : ٤٥ )  
« انما هذه الحياة الدنيا متاع » • ( غافر : ٣٩ )

عن ابن مسعود قال : قال الرسول ﷺ : « ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » • ( أخرجه الترمذى وصححه )

الى جانب ما تقدم من وصف وبيان للدنيا يدل على ذمها والانتقادات عنها وجد فيها من آيات الله ما يقتضى مدحها والانتقادات اليها • ففيها ما يدل على وحدانية الله وصفاته العلا • يقول الله تعالى :  
« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » • ( سورة ق : ٦ )

وقوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا » • ( النمل : ٦١ )

« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله » • ( المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥ )

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » • ( آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ )

وفيهما — الدنيا — من النعيم ما امتن الله به على عباده فقال تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار • وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، أن الانسان لظلوم كفار » • ( ابراهيم : ٣٢ - ٣٤ )  
وقال تعالى : « واللّه جعل لكم من أنفسكم أزواجا » • ( النحل : ٧٢ )  
وإذ لك قال تعالى : « تسوّأ من رزق ربكم وأشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور » • ( سبأ : ١٥ )  
وقال : « وأتّبعتنّوا من فضله » • ( النحل : ١٤ )  
وكما قال الامام الشاطبى<sup>(١)</sup> : فقد طلب الدنيا فضلا كما عد حب الايمان وبعض الكفر فضلا فأنزل الله الأحكام وشرع الحلال والحرام تخليصا لهذه النعم التى خلقها لنا من ثواب الكوارث الدنيويات والأخرويات •

ويزيد الأمر وضوحا فيقول :

فانظر الى الدنيا باعتبارها عيشا ومقتنصا للذات ومآلا للشهوات انتظاما فى سلك البهائم فهذا لعب وباطل لأن صاحب هذا النظر لم ينل منها الا مأكولا ومشروبنا وملبوسا ومنكوحا ومركوبا من غير زائد ثم يزول عما قريب ومن هذا نظر الكفار الذين لم يبصروا منها الا ما قال تعالى من أنها لعب ولهو وزينة وغير ذلك مما وصفها به ولذلك صارت أعمالهم « كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » • ( النور : ٣٩ )

ومن نظر الى الدنيا نظر العاقل وجد كل نعمة فيها يجب شكرها فالنعم طالبة لأعبد أن ينالها فيشكر الله بها وعليها ومن هنا كانت الدنيا جد وحق يقول الله تعالى :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا » • ( المؤمنون : ١١٥ )

« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين • وما خلقناهما

الا بالحق » • ( الدخان : ٣٨ ، ٣٩ )

(١) الموافقات ج ٤ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ بتصرف •

ولأجل هذا كانت أعمال أهل هذا النظر معتبرة شرعا يقول  
الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه  
حياة طيبة » • ( النحل : ٩٧ )  
فالأخذ لندنيا رغبة فيها وحبا فى العاجلة وتركها والزهد فيها من  
حيث يجب طلب ما فيها من نعم الله وشكره بها وعليها كل أولئك مدموم  
بل يسمى سفها وكسلا وتبذيراً ومن هنا وجب الحجر على صاحب  
هذه الحالة شرعا (٢) •

\*\*\*

### ٣ - الغنى والفقير :

ليس الفقر أفضل من الغنى باطلاق ولا الغنى أفضل باطلاق بل  
الأمر فى ذلك يتفصل ، فان الغنى اذا أمال الى ايثار العاجلة كان بالنسبة  
الى صاحبه مذموما وكان الفقر أفضل منه وان أمال الى ايثار الآجلة بانفاقه  
فى وجهه والاستعانة به على التزود للمعاد فهو أفضل من الفقر •

\*\*\*

### ● الاستخلاف كمدخل للنظرية الاقتصادية فى الاسلام :

اتضح لنا من العرض السابق أن الاستخلاف متعلق بالحكم الشرعى  
المتمثل فى خطاب الله تعالى بتسخير الأشياء التى خاقها وجعلها معدة  
وصالحة لأن يباشر الانسان فيها حق الملك بأحد أسباب كسب الملكية التى  
قررها الشرع وهو ما ينفرد به نظام الملكية فى الاسلام عن غيره من نظم  
الملكية الأخرى فى المناهج الاقتصادية الوضعية ، وما ترتب على ذلك  
من أنواع وأقسام الملكية تختلف عما هو قائم فى النظريات الاقتصادية  
الرأسمالية أو الاشتراكية والشيوعية بما تحدثه هذه الأنواع من  
انعكاسات ايجابية وفعالة فى عملية الانتاج فى المجتمع •  
وعلى هذا المنحى فان الملك فى الاسلام يعتبر من أهم مقومات  
النظام الاقتصادى مما يستوجب بسط موضوع الملكية على نحو يضبط  
جزئياته ويكشف عن حقيقة مزاياه وتميزه عن غيره فى خضم هذا التصارع  
العنيف ، بين « الأيدولوجيات » والنظريات الاقتصادية المعاصرة فى  
شرق العالم وغربه وهو ما سنتناوله فى الفصول التالية •

(٢) انظر الموافقات للشاطبى ج ٤ ص ٣١٠ بتصرف •